# الفصل الثامن

## وسائل نشر التعليم الاسلامى
## فى عهد الرسول

**استخدم الرسول صلى الله عليه وسلم شتى الوسائل لاعلاء كلمة الله** تعالى وتعليم فرائض الاسلام لبناء صرح المجتمع الاسلامى على أسس علمية ودينية سليمة ، فاتبع عدة وسائل منها ما يلى :

**أولا : ارسال المعلمين والدعاة خارج أرض الحجاز لنشر مبادىء الاسلام :**

بعد أن انتشر الاسلام فى الجزيرة العربية ومختلف اطرافها ذهرت الحاجة الى دعاة ومعلمين ومرشدين يشرحون للناس حقائق الاسلام ومبادئه وفرائضه بين القبائل والقرى التى دخلت فى الاسلام حتى يستقر الاسلام فى قلوبهم بعد أن انتشر فى ربوعهم ٠

واستجابة للدعوة الالهية فى قوله تعالى :

« وما أرسلناك الا كافة للناس بشير ونذيرا » (١) ٠

بادر الرسول منذ العام السادس من الهجرة بارسال جلة أصحابه من المعلمين الذين تفقهوا فى الدين لينتشروا فى أرض العرب وخاصة فى جنوب الجزيرة العربية لتعليم الناس أصول دينهم وحثهم على اداء فرائضه ، فأرسل عليه الصلاة والسلام عماله ومبعوثيه من المعلمين خارج المدينة المنورة فى كل جهة من جهات أرض الجزيرة العربية وبلاد اليمن وكان الاسلام لا يزال غضا فعملوا على ارساء مبادئه وتدعيم أحكامه ووضع حدوده ليبصروا الناس بأمور هذا الدين ٠

ولما كان الرسول عليه الصلاة والسلام قد فرض العلم على أمته وحث على تعلم القرآن وأحكامه والسنن وموجباتها ، والنظر فى الفقه واستنباط الدلائل واستخراج الاحكام فقال : « من اراد الله به خيرا يفقهه فى الدين » « والعلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » ولذا استعان الرسول صلوات الله

---

(١) سورة سبأ : آية ٢٨ ٠

عليه وسلامه بجلة الصحابة والمؤمنين الذين تتلمذوا على يديه واكتسبوا من علمه وحكمته ورافقوه فى غزواته لتنفيذ برنامجه التعليمى فى البلدان التى دخلت فى الاسلام • وكان القراء والمتفقهون فى الدين كثيرون وأشهرهم زيد بن ثابت ، وأبى بن كعب وعلى بن أبى طالب ، وابو موسى الاشعرى ، ومعاذ بن جبل ، وسالم مولى ابى حذيفة وغيرهم كثيرين غير ان كل منهم قد تفقه فى فرع من فروع الدين وتخصص فيه واشتهر به •

قال الرسول صلى الله عليه وسلم :

« ارحم أمتى أبو بكر ، وأشدها فى دين الله عمر ، واصدقها حياء عثمان ، وأفرضهم زيد ، وأقرأهم أبى ، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ ، وأن لكل أمة أمين وأمين هذه الامة ابو عبيدة بن الجراح » •

وعن جابر بن عبد الله الانصارى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« أرحم أمتى لامتى ابو بكر ، واوفى امتى لامتى عمر بن الخطاب ، وأصدق أمتى حياء عثمان بن عفان ، واقضى امتى على بن ابى طالب ، وأعلمها بالحلال والحرام معاذ بن جبل ، وأقرأ امتى أبى بن كعب ، وافرضها زيد ابن ثابت وقد أوتى عويمر عبادة — يعنى أبا الدرداء — رضى الله عنه :

وقد تمتعت مدن العرب وقبائلها التى دخلت فى الاسلام بقسط وافر من الاستقلال الذاتى داخل نطاق الدولة العربية الاسلامية ، فصار الرسول يبعث عماله الى البلاد التى تدين بالاسلام ليعلموا الناس القرآن ويفقهوهم فى الدين ويجبون منهم الصدقات ثم يوزعونها بين الفقراء من اهل تلك البلاد أو يرسلونها الى المدينة•وترك الرسول للامراء الذين اسلموا ما كان لهم من سلطان فى بلادهم قبل اسلامهم •

رأى الرسول صلى الله عليه وسلم بعد ان انتشر الاسلام فى بلاد اليمن أن يوفد الى أهالى تلك البلاد أبا موسى الاشعرى ومعاذ بن جبل ليعلماهم أمور دينهم وأوصاهما بقوله :

« يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا » وتدل الوصية التى زود بها الرسول عليه الصلاة والسلام معاذا وأبا موسى الأشعرى — على بعض الآداب التى

يجب أن يتحلى بها المعلم ازاء المتعلمين فمن ذلك أن يغلب جانب التبسيط والتيسير على التشديد والتصعيب ، وأن يعتمد على التبشير أكثر من الانذار والتهديد حتى لا يحدث نفور من جانب المتعلمين ٠

ولما بعث الرسول معاذا الى منطقة الجند بأرض اليمن قال لمعاذ : « أنك ستاتى قوما اهل كتاب فاذا جئتم فادعهم الى أن يشهدوا أن لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ، فاذا هم اطاعوا لك بذلك فاخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات فى كل يوم وليلة ، فان هم اطاعوا لك بذلك فاخبرهم ان الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم فان هم اطاعوا لك بذلك فاياك وكرائم أموالهم ، واتق دعوة المظلوم فانها ليس بينها وبين الله حساب » ٠

وبذلك أوضح الرسول لمعاذ بن جبل أسلوب التيسير والتدرج فى تعليم وتطبيق فرائض الاسلام وشريعته ، فأمر معاذ أن يدعو الناس أولا الى الاقرار بالشهادتين فان استجابوا لذلك يدعوهم الى اقامة الصلاة وما تستلزمه فريضة الصلاة من الوضوء وحفظ آيات القرآن فان استجابوا لذلك فليدعهم الى دفع الزكاة ٠٠ وهكذا ٠٠ ومن آداب الدعوة الى الله الاحتراز من التلبس بظلم أى انسان وخاصة مايتعلق بأخذ أموال الناس بغير حق ، وقد شدد عليه الرسول فى التحذير من ظلم الناس واتقاء دعوة المظلوم لانه ليس بينه وبين الله حجاب ٠

وقد طلب الرسول من كل عامل الا يبدا بالتعليم الا اذا كانت عقول الناس ونفوسهم مهيأة له أى بعد أن يدخلوا فى الاسلام ويشرعوا فى الصلاة ويدفعوا الزكاة ثم بعد ذلك يبنى مسجدا استعدادا لاجراء التعليم والعبادة والتفقه فى الدين ٠

ويتضح ذلك فى قول رسول الله عليه الصلاة والسلام الى عامله « وبربن يحنس » عندما أرسله عاملا على صنعاء باليمن : « ادعهم الى الايمان فان اطاعوا لك به فاشرع لهم بالصلاة فان اطاعوا لله بها فمر ببناء المسجد فى بستان « باذان » ما بين الصخرة الملطمة الى غمدان » ٠

ولما بلغ الرسول صلى الله عليه وسلم أن جماعة من أهل اليمن لايزالون على ديانتهم القديمة بعث خالد بن الوليد الى بنى الحارث بن كعب بمنطقة نجران وأمره أن يدعوهم الى الاسلام ثلاثة أيام فان استجابوا اليه فعليه ان يعلمهم كتاب الله وسنة نبيه ومعالم الاسلام وان أبوا قاتلهم وأوصاه بقوله « امض ولا تلتفت اذا نزلت بساحتهم ولا تقاتلهم حتى يقاتلوك » فلما قدم عليهم خالد ودعاهم الى الاسلام ، اجابوا واسلموا فأقام بينهم يعلمهم شرائع الاسلام وكتاب الله وسنة نبيه وكتب الى الرسول يعلمه باسلامهم ، فأرسل الرسول عليه الصلاة والسلام اليهم « عمرو بن حزم الانصارى » ويكنى أبا الضحاك واليا عليها ليعلمهم القرآن ويفقههم فى الدين ويأخذ صدقاتهم ، وكان عمره سبعة عشر عاما ، وكان قد كتب له النبى كتابا فى موضوعات الفرائض ، والصدقات ، والسنن ، والديات ليقوم بتعليمها الى أهالى نجران وكان ذلك سنة عشر هجرية .

وقال على بن أبى طالب : « بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليمن معلما وقاضيا فقلت : يا رسول الله اتبعثنى وأنا شاب وهم كهول وأهل علم ، ولا علم لى بالقضاء ؟ فقال : اللهم اهدى قلبه ، انطلق فان الله سيهدى قلبك ويثبت لسانك ، قال على : فوالله ما تعييت فى شىء بعده » وقد أقام على بن أبى طالب فى صنعاء وقرأ كتاب رسول الله على قبائل همدان فاسلمت فى يوم واحد ، فخر ساجدا ثم رفع رأسه فقال :

« السلام على همدان » .

وفى العام العاشر للهجرة خرج على بن ابى طالب الى أرض مزحج باليمن فى ثلاثمائة فارس فلما وصل لقى فريقان من اليمنيين أبوا قبول دعوته فى بادىء الأمر وعاجموه ، غير انه لم يلبث أن حمل عليهم بمن معه وألحق بهم الهزيمة ، ثم دعاهم الى الاسلام فأجابوا دعوته وبايعه نفر من رؤسائهم وقالوا :

نحن على من ورائنا من قومنا ، وهذه صدقاتنا فخذ منها حق الله .

كتب على ابن أبى طالب الى الرسول يخبره بما أحرزه من نصر فى بلاد اليمن واقبال أهلها على الاسلام فسر الرسول بذلك وأمره بالشخوص اليه فلقيه بمكة وكان قد قدم اليها للحج .

وهكذا نجحت البعوث التى أوفدها الرسول الى جنوب الجزيرة العربية وأرض اليمن وقام المعلمون والقراء بأداء مهمتهم التعليمية على خير وجه فى تلك البلدان حتى **انتشر التعليم الاسلامى فى كل جزيرة العرب وجنوبها** وبانتشار العلم الاسلامى توحدت الثقافة العربية فى تلك البلاد كما توحدت عقيدتها مما أدى الى ظهور الوحدة القومية بين القبائل العربية الاسلامية على أساس الوحدة الدينية والفكرية والسياسية . وبتوحيد الجزيرة فى عهد الرسول عليه الصلاة والسلام تكون المجتمع الاسلامى العربى الذى اتسعت رقعته فيما بعد فى عهد الخلفاء الراشدين .

وهكذا ارسل محمد عليه الصلاة والسلام عماله ( ولاته ) الى اليمن ليعلموا الشعوب والقبائل التى دخلت فى الاسلام **أصول** دينهم الجديد وحدد لكل منهج الدراسة التى يجب أن يتبعها والطريقة التى يبدأ بها واسلوب التعامل الذى يناسب كل شعب ، كما اتخذ من أبناء اليمن أنفسهم ولاة بعد اسلامهم على كل من صنعاء وكندة وحضرموت والجند وتهامه وعدن .

وقد اكد الرسول صلى الله عليه وسلم على المعلمين فى المدينة المنورة وعماله على اليمن استخدام كتاب الله وشريعته وحكمه وآياته ليستنير بها كل متعلم ، وقد ذكر الرسول صلوات الله عليه فى حديث له عن **القرآن الكريم كمقرر دراسى رئيسى فى العملية التعليمية** بل كان هو المقرر الوحيد فى التعليم فى عهده يليه السنة النبويه فقال عليه الصلاة والسلام :

« من ابتغى العلم فى غيره اضله الله ، ومن ولى هذا الامر من جبار فحكم بغيره قصمه الله ، هو الذكر الحكيم والنور المبين والصراط المستقيم ، فيه خبر ما قبلكم ونبأ ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، وهو الفصل ليس بالهزل ، وهو الذى سمعته الجن فلم تنته أن قالوا : انا سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشد ، لايخلق على طول الرد ، ولا تنقضى عبره ، ولا تفنى عجائبه » .

كما حدد الرسول عليه الصلاة والسلام فى منهج التعليم القرآنى موضوعات الدارسة لكل عامل يرسله الى اليمن لولاية قبيلة دخلت فى الاسلام

وقد راعى الرسول فى اختياره لموضوعات الدراسة ان تكون بسيطه فى اول الأمر وأوصى بأن يتبع التدرج النفسى والمنطقى لهذه الموضوعات فى تعليمها للناس فيبدأ بما هو سهل ميسور على النفس وهى الفرائض ثم ينتقل الى الصدقات ثم السنن ثم الحدود (الديات ) وقد شمل هذا المنهج فى كتاب الرسول لعامله ولم يكن هذا الكتاب يشمل تفاصيل للموضوعات بل اشتمل على خطوطها الرئيسية فقط لان تفاصيل الموضوعات محفوظة فى عقل وقلب كل عامل ، كما أنه لايعلمها للمتعلمين كتابة بل كان يلقنها شفاهة ويحفظها المتعلم عن ظهر قلب • وقد أوصى الرسول بمراعاة التهيئة النفسية والذهنية للمتعلمين قبل البدء فى العملية التعليمية •

وكانت المدينه المنورة كعبة القصاد لمن شاء ان يتعلم ويتفقه فى الدين والتفسير والسنن من الشعوب والقبائل التى دخلت فى الاسلام ، ففيها يقيم الرسول ، وهنالك عاشت الكثرة الغالبة من الصحابة وأمهات المؤمنين تتصدرهن الراوية النابغة زوجة الرسول « عائشة بنت أبى بكر » وهنالك أكثر زعماء الحجاز مكانة وزكانة الذين الموا بعهد الرسول وشاركوه غزواته وافعاله واقواله وسمعوا أحاديث الصحابة والاقربين وقد اشتغلوا جميعا بعد الهجرة الى المدينة بحفظ القرآن وانقطع بعضهم الى النبى صلى الله عليه وسلم ليتفقه عليه فى الدين ويأخذ عنه ما علمه الله من العلوم ويكتسب منه ما أدبه الله به من خلق ، وكان امثال هؤلاء ممن اتجه فى حياته هذا الاتجاه العلمى يعرفون بين المسلمين باسم القراء أو الحفاظ او القضاه أو المفسرين او رواة الحديث • وكان يطلق عليهم اوعية العلوم •

وكان للمدينة من السلطان الروحى ما عبر عنه « الامام مالك » الى « الليث بن سعد » بقوله :

« أن الناس تبع لاهل المدينة التى كانت اليها الهجرة وبها نزل القرآن » •

وجدير بالذكر ان علم الحديث كان المادة الثانية بعد كتاب الله لنشر الثقافة الاسلامية وقد انتقل علم الحديث الى اليمن بادىء الأمر على أيدى مبعوثى الرسول سالفى الذكر ، ثم على ايدى رواة أهل اليمن من الصحابة الذين شاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاشروه وصحبوه طويلا أمثال أبى موسى الاشعرى وعمه عبيد بن وهبة الاشعرى ، وكعب بن عاصم

الاشعرى ، والحارث الاشعرى وأبيض جمال المادبى ، وفروة بن مسيك المرادى وغيرهم ممن جاء ذكرهم فى طبقات رواة الحديث للامام « مسلم بن الحجاج » وغيره من مصادر علوم السنة ٠

وهكذا كان اليمنيون اول شعب بكامله بعد أهل الحجاز يتعلم القرآن والسنة بعد أن اعتنقوا الاسلام فكان اليمنيون يرون فى الدعوة الاسلامية منطلقا للوحدة بين قبائلهم ، وقد وفدت الى الرسول طلائعهم وهو لا يزال بمكة ، ومن هذه الوفود وفدى الأوس والخزرج اللذين هاجر الى مدينتهم « يثرب » بعد عدة اجتماعات عقدها الرسول معهم سرا فى مكة فى مواسم الحج وقد ولدت أول **دولة اسلامية** فى المدينة بمناصرة اليمنيين ٠

وقد كان لاتصال اليمنيين الوثيق برسول الله والعلماء من أصحابه ، ولوفودهم التى زارت النبى واستمعت الى أقواله وخطبه واطلعت على طرف من سيرته وافعاله أكبر عامل فى بروز عدد غير قليل من أهل اليمن كفقهاء فى الدين وحملة القرآن والسنة النبوية ٠

ثم واصل بعض اليمنيين بعد ذلك الارتحال الى مكة والمدينة من أجل طلب العلم والتفقه فى الدين ورواية الحديث ثم يعودوا الى بلادهم لنشر العلم بل وخارجها أيضا ٠ وممن تخرج من مدرسة الحديث بمكة والمدينة على يد أئمة العلم الحجازيين أمثال عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمرو وأبى هريرة وغيرهم وحاز شهرة كبيرة فى الأفاق : فقيه اليمن طاووس ابن كيسان ، وعطاء بن أبى رباح ، والامام مالك بن أنس الاصبحى أمام دار الهجرة وصاحب الموطأ ، والقاضى عامر بن سرجبيل الشعبى ومشروق الهمدانى ، وأبو اسحق السبيعى الهمدانى ، وابراهيم النخعى المذحجى ، وعلقمة النخعى ، وعمرو بن ميمون الازدى ، وعمر بن دينار وغيرهم وقد عاد بعضهم الى بلادهم وسكن بعضهم مكة المكرمة والمدينة المنورة والبعض الآخر استوطن بالعراق وغيرهم بالشام حيث نشروا فى هذه الاقطار الحديث والفقه ٠

أما من استوطن منهم بالشام واشتهر فيها بالعلم والفضل فمنهم ابو عمرو الاوزاعى الحميرى وقد تولى فيها الرئاسة ، والقاضى عياض اليحصبى ، وزمعة بن صالح الجندى وآخرون وأصبح هؤلاء اليمنيون وبعض

الحجازيين امثال عبد الله بن عباس ، وعبد الله بن مسعود هم رواد العلم وطلائع العلماء فى الحديث والتفسير بعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام ومما ساعد اليمنيين على بلوغ هذه الشهرة العلمية والاشتغال بالتعليم هو انشغال العرب بالسياسة ورغبتهم فى السيطرة على مقاليد الحكم ٠

**٢ - أرسال الرسل الى الملوك كدعاة للعلم والدين الاسلامى :**

شهد العام السابع الهجرى تحركا اسلاميا واسعا بالدعوة الثقافية الاسلامية ونشر الدين الاسلامى بالدعوة السلمية الى الله تبارك وتعالى وتوعية الناس كافة ، تحقيقا لمبدأ عالمية الدعوة وتنفيذا لامر الله فى قوله تعالى : -

« وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا » (١) ٠

« تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا » (٢) ٠

وكانت المدينة المنورة مركزا للتجمع الاسلامى وقاعدة للانطلاق للتبشير بهذا الدين كما أمر الله رسوله الكريم باتباع الحكمة والموعظة الحسنة فى الدعوة قال تعالى :

« أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة » (٣) ٠

وجاء اسلوب الحكمة والموعظة الحسنة فى الكتب ( الرسائل ) التى حملها الرسل صحابة رسول الله الى ملوك البلدان المجاورة للجزيرة العربية ٠

**اختيار الرسل :**

قال النبى صلى الله عليه وسلم لأصحابه يوما : وافونى بالغداة وكان عليه الصلاة والسلام اذا صلى الفجر جلس فى مصلاه يسبح ويدعو ثم التفت الى أصحابه فاختار عدة منهم فبعثهم رسلا الى الملوك والامراء وقال لهم :

« انصحوا لله فى عبادته فانه من استرعى من أمور الناس ثم لم ينصح لهم حرم الله عليه الجنة انطلقوا ولا تصنعوا كما صنعت رسل عيسى ابن مريم قالوا : وما صنعوا يا رسول الله ؟ قال : دعاهم الى الذى دعوتكم اليه ،

---

(١) سورة سبأ آية ٢٨ ٠
(٢) سورة الفرقان آية ١ ٠
(٣) سورة النحل آية ١٢٥ ٠

فأما من كان مبعثه قريبا فرضى وسلم ، وما كان مبعثه بعيـــدا فكره وجهه وتثاقل ، فشكى ذلك عيسى الى الله فأصبح المتثاقلون وكل واحد يتكلم بلغة الأمة التى بعث اليها » .

وكان اختيار الرسول صلى الله عليه وســـلم لهؤلاء الرسل من بـين صحابته من الكتاب المتخصصين حيث كان للرسول بعد أن اقام حكـومته الاسلامية فى المدينة كتابا لكل منهم عمل محـدد . منهم من يكتب القـرآن ومنهم من يكتب عهوده ، ومواثيقه ومنهم من كان يكتب الى الملوك والرؤساء الأجانب باللغات الأجنبية بجانب قيامه بأعمال الترجمة التحريرية والفورية له عليه الصلاة والسلام ، ومنهم من كان يكتب أموال الصدقات ومنهم من كان يكتب المعاملات والمداينات وكان عـدد هـؤلاء الكتاب اثنين وأربعـين كاتبـا .

وقد بلغ من فقه هؤلاء الكتاب وسعة علمهم وذكائهم ان احدهم وهـــو زيد بن ثابت تعلم اللغة السريانية أو العبرية فى سبعة عشر يوما حينما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « انه يأتينى كتب ولا أحب أن يقرأها أحد فهل تستطيع أن تتعلم العبرانية أو قال السريانية فقلت نعم فتعلمتها فى سبع عشر يوما » وقيل أن زيد ابن ثابت كان يعرف عددا من اللغات أمثال الفارسية والرومية والقبطية .

وكان هؤلاء الكتاب محل ثقة الرسول صلى الله عليه وسلم يبادلهم ثقة بثقة وحبا بحب ، بلغ من ثقته بهم وأمانتهم لديه أنهم كانوا يكتبون باسمه ويختمون بخاتمه رسائلهم ويبلغون الرسائل الى النـــاس دون ان يرجعـوا اليه فى شىء .

ومن هؤلاء الكتاب اختار الرسول :

١ ـ دحية بن خليفة الكلبى أرسله الى قيصر الروم .

٢ ـ عبد الله بن حذافة السهمى أرسله الى كسرى فارس .

٣ ـ عمرو بن أمية الضمرى أرسله الى نجاشى الحبشة .

٤ ـ خاطب ابن أبى أرسله الى المقوقس عظيم أقباط مصر .

٥ ـ عمرو بن العاص السهمى أرسله الى جيفر وعباد ابن الجلندى الازديين ملكا عمان ٠

٦ ـ سليط ابن عمرو أرسله الى ثمامة بن آثال وهوذة بن على الحنيفيين ملكا اليمامة ٠

٧ ـ العلاء بن الحضرمى أرسله الى المنذر بن ساوى العبدى ملك البحرين ٠

٨ ـ شجاع بن وهب الاسدى أرسله الى الحارث بن أبى شمر الغسانى « ملك بصرى » تخوم الشام وأرسله كذلك الى جبله بن الايهم الغسانى ٠

٩ ـ المهاجر بن أمية المخزومى الى الحارث بن عبد كلال الحميرى ملك اليمن ٠

وقد أختار الرسول هؤلاء المبعوثين من الرسل لما يتوفر فيهم من صفات شخصية وعقلية تهيؤهم لهذه المهمة الثقافية وقد تميز هؤلاء بقوة البلاغة وحسن العرض وجمال الأسلوب قال فقهاء الاسلام تأثرا بالرسول عليه الصلاة والسلام :

« يستحب فى الرسول القد وامتدار الطول وعبالة الجسم فلا يكون قميئا أو ضئيلا وان يكون جهير الصوت وسيما لا تقتحمه العيون ولا تزدريه النواظر ، وقالوا أن الصورة تسبق اللسان والجثمان يستر الجنان وينبغى ان يجمع الرسول بكل ما أمكن لأن العامة ترمق الزى اكثر مما ترمق الكفاية ، ثم أن عين الملوك تسبق الى ذوى الرداء من الرسل وتطلب ذلك فى رسلها لئلا ينقص اختيارها حظا من حظوظ الكمال ولأنها تنفذ واحدا الى أمة وفذا الى جماعة وشخصا الى شخوص كثيرة ٠ ولذا كان لابد ان يكون الرسل ( المبعوث ) وسيما جسيما يملأ العيون المتشوقة اليه ويشرف على تلك الخلق المتصدية له فلا تستصغره » ٠

والواقع أن هذا بعض ما كان يتمتع به هؤلاء الرسل فقد كانوا قمة فى الذكاء وحضور البديهة وسرعة الخاطر ، كانوا ائمة فى التفكير المستقيم والفهم السليم وليس ذلك بغريب عليهم فان العرب فطروا على البلاغة وعرفوا بالادب واشتهروا بالشعر لذلك كان الرسل الذين أرسلهم رسول الله الى الملوك من ذلك نصيب وافر وحظ كبير ذلك أن القرائح العربية كانت تمتاز بهذه النواحى وجاء الاسلام فزاد قوة وحجة وثباتا ٠

والحق أن هؤلاء كانوا يتمتعون بتفكير عميق وأفق واسع ومعرفة غزيرة رشحتهم للقيام بهذه المهمة العظيمة ٠

وقد وجه النبى صلى الله عليه وسلم كتبه ( رسائله ) الى الملوك والحكام فى الدعوة الى الاسلام دون العلماء أو أفراد الشعب ٠ وقد خاطب الامراء ولم يخاطب البطارقة أو الاحبار والرهبان فى هذه الدول وذلك لان الرسول عليه الصلاة والسلام كان يعلم قيمة تأثير الملوك فى الرعية وأن الناس على دين ملوكهم وأن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن ٠

وقد استخدم الرسول صلى الله عليه وسلم أسلوبا أوصل صوت الحق الى اسماع الدنيا كلها وأتت ثماره حتى آمن كثير من وصلت اليهم الوسائل ٠

وكان الرسول عليه الصلاة والسلام يفتتح أكثر رسائله بلفظ « من محمد رسول الله الى فلان » وكان يصرح باسم المكتوب اليه فى أول الرسائل وربما اكتفى بشهرته ، فان كان المكتوب اليه ملكا كتب بعد ذكر اسمه « ملك القوم الفلانيين » أو كتب « الى صاحب مملكة كذا » واذا كان حاكما من قبل الدول الكبرى كتب بعد ذكر اسمه « عظيم القوم الفلانيين » ٠

وكان عليه الصلاة والسلام يعبر عن نفسه فى رسائله بلفظ المفرد مثل « أنى » و « لى » و « جائنى » و « وفد على » واحيانا اتى بلفظ الجمع مثل « بلغنا » « جائنا » ٠

وكان صلى الله عليه وسلم يأتى فى صدر كتبه بالسلام فيقول مخاطبا المسلم « سلام عليك » أو قال : « السلام على من اتبع الهدى » وكان يأتى فى صدر الرسالة بالتحميد بعد السلام فيقول « فانى أحمد اليك الله الذى لا اله الا هو » وكان يختم كتابه بالسلام تارة فيقول مخاطبا المسلم ( الكتابى ) « والسلام عليك ورحمة الله وبركاته » ويقول فى خطابه للكافر « والسلام على من اتبع الهدى » ٠

وكان الرسول صلوات الله عليه يبدأ رسالته « بسم الله » تبركا واستنجاحا فلما نزل قوله تعالى : قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن(١)كتبأول

---

(١) سورة الاسراء آية ١١٠ ٠

الرسالة « بسم الله الرحمن » ولما نزل قوله تعالى : « انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم » (١) كتب ذلك أول الرسالة ٠

وعن ابن المسيب : لما أتى قيصر كتاب النبى صلى الله عليه وسلم وفيه البسملة قرأه وقال هذا الكتاب لم أره بعد سليمان بن داوود عليه السلام وهو يعنى البسملة ٠

ويروى البخارى عن أنس قال :

«لما أراد النبى صلى الله عليه وسلم أن يكتب الى الروم فقيل له انهم لن يقرؤا كتابك اذا لم يكن مختوما ، فاتخذ خاتما من فضة ونقشه محمد رسول الله فكأنى أنظر الى بياضه فى يده صلى الله عليه وسلم » ٠

ولم يكن خاتم الرسول محفوظا لدى أحد من كتابه بل كان فى أصبعه صلى الله عليه وسلم لا يخلعه الا ليختم الرسائل والمكاتبات ثم يرده الى اصبعه ٠

وبهذه الرسائل المحمدية والرسل المبعوثين للملوك والامراء والحكام بدات الدعوة العالمية للاسلام وانتشر التعليم الاسلامى بعد أن نجح خلفاء الرسول فى فتح كثير من البلدان الاجنبية فاتسعت رقعة الدولة الاسلامية وان لم يدخل جميع البلدان فى الدين الاسلامى فان الله قد نزل كتابا للعالم اجمع هو **القرآن الكريم** فمن هداه الله الى الايمان اتبع قرآنه ومن كفر بالقرآن واتبع الطاغوت فلهم عذاب جهنم وبئس العذاب ٠

قال تعالى :

« انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » (٢) ٠

« ان هو الا ذكر للعالمين » (٣) ٠

ويتساءل الدكتور أحمد شلبى فى كتابه « الاسلام » لماذا كانت رسالة السابقين خاصة وجاءت رسالة « محمد » عامة ؟

والاجابة على هذا التساؤل سهلة ميسورة فقد كان من الطبيعى ان تتعدد رسالات السابقين وان يكون كل منها لجماعة محدودة وذلك لسببين :

---

(١) سورة النمل : آية ٣٠ ٠
(٢) سورة الحجر : آية ٩ ٠
(٣) سورة ص : آية ٨٧ ٠

**أولا :** كانت كل أمة فى العصور السالفة تعيش فى عزلة تامة أو شبه عزلة عن الأمم الأخرى وكانت الحواجز الجغرافية الطبيعية من جبال وبحار وصحراوات شاسعة مع بدائية وسائل الاتصال والمواصلات كثيرا ما يعوق الاتصال بين الأمم بعضها وبعض أو معرفة لغات بعضها فانقطعت الصلة والروابط غالبا · ومن ثم أرسل الله لكل أمة رسولا وما كان لرسول واحد القدرة والمقدرة على الوفاء بالغرض من هذه الرسالات للناس جميعا ·

**ثانيا :** سببت العزلة اختلافا فى درجة الثقافة والعادات والتقاليد ونظم الحياة وفقا للظروف الطبيعية والاقتصادية وأثرها على الحياة الاجتماعية لكل أمة فاصبح ما يلائم جماعة من البشر نظام أو تشريع لايلائم جماعة أخرى ·

ولهذين السببين أرسل الله لكل أمة رسولا يعلمهم الكتاب والحكمة ويدعوهم الى الاسلام والتوحيد ، « فطرت الله التى فطر عليها الانسان » ويحثهم على الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ويوم البعث · ولهذا تشابهت الكتب السماوية ورسالات الانبياء فى ناحية أساسية والتى تعد من أهم دعائهما هو الدعوة الى الخلق الفاضلة وتأكيد العلاقات الطيبة بين البشر بعضهم وبعض ، والحرص على محبة الله وطاعته ، وما اختلف القرآن الكريم عما سبقه من الكتب الا فى التشريع الجديد لنظام حياة الانسان بعد أن نما عقله واتسعت مداركه وتمكن من الاتصال بغيره من البشر فى البلدان البعيدة والاقطار المترامية وبعد أن تمكن من تبادل المنفعة والمصالح مع غيره من بنى الانسان فى الدول الاخرى فتقاربت الثقافات وعرفت اللغات وسهل الاتصال بين الناس بعضهم وبعض وبعد أن انتفى السببان السابقان وامتدت المواصلات وتبادلت المصالح كان ايذانا من الله بارسال رسول واحد الى البشر ودين واحد يظهره على الدين كله · **( فبعث الله محمدا عليه الصلاة والسلام ليكون للعالمين مبشرا ونذيرا )·**

قال تعالى :

« يا أيها النبى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ، وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا » (١) ·

---

(١) سورة الاحزاب آية ٤٥ ، ٤٦ ·

وهكذا فان دعوة محمد عليه الصلاة والسلام ، دعوة عالمية وأنه هو خاتم الأنبياء فلا نبى بعده وهذا مما اجمع عليه المسلمون وعرف من الدين بالضرورة ٠

قال عليه الصلاة والسلام :

« مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بنيانا فاحسنه وأجمله الا موضع لبنة من زواية من زواياه ، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة ؟ فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين » (١) ٠

أما دعوته صلى الله عليه وسلم وعلاقتها بدعوات الانبياء السابقين فقائمة على أساس التأكيد والتتميم كما يدل عليه الحديث سالف الذكر ٠

**الاول** : العقيدة ، والثانى : التشريع والاخلاق ٠ فاما العقيدة فلم يختلف مضمونها منذ بعثة **آدم** عليه السلام الى بعثة خاتم النبيين **محمد** صلى الله عليه وسلم انما هى الايمان بوحدانية الله وتنزيهه عن كل ما لا يليق به من الصفات ، والايمان باليوم الآخر والحساب والجنة والنار فكان كل نبى يدعو قومه الى الايمان بهذه الامور وكل منهم يأتى مصدقا لدعوة من قبله ومبشرا ببعثة من سيأتى بعده وهكذا وقد تلاحقت بعثة الانبياء الى مختلف الاقوام والأمم ليؤكد الجميع حقيقة واحدة أمروا بتبليغها وحمل الناس على الاذعان لها الا وهى الدينونية لله عز وجل وحده وهذا ما بينه الله تعالى بقوله فى كتابه الكريم :

« شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » (٢) ٠

هذا عن العقيدة اما التشريع وهو من الاحكام التى توخى منها تنظيم حياة المجتمع والفرد فقد كان يختلف فى الكيف والكم ما بين بعثة نبى وآخر وسبب ذلك أن التشريع هو من النوع الانشاء لا الاخبار ٠ كما أن للتطور الزمنى ولاختلاف الأمم والاقوام أثر فى تطور التشريع واختلافه اذ أن أصل فكرة التشريع قائمة على اساس ما تقتضيه مصالح العباد فى دنياهم وآخرتهم

---

(١) حديث متفق عليه واللفظ لمسلم ٠
(٢) سورة الشورة : آية ١٣ ٠

فكانت الاحكام التشريعية التى نزل بها الانبياء السابقين على الاسلام خاصة بأمة معينة ولم تكن عامة الناس كلهم لذا كانت محصورة فى اطار ضيق حسبما تقتضيه حال تلك الأمة ٠

فقد بعث **موسى** عليه السلام مثلا لبنى اسرائيل وكان الشأن يقضى بالنسبة لحال بنى اسرائيل اذ ذاك ان تكون شريعتهم شديدة تائمة فى مجموعها على أساس العزائم ٠ ولما مرت الازمنة وبعث الله عيسى عليه السلام كان يحمل اليهم شريعة أسهل وأيسر مما كان قد بعث به موسى من قبل يقول عيسى عليه السلام مخاطبا بنى اسرائيل ما جاء فى قوله تعالى :

« ٠٠ ومصدقا لما بين يدى من التوراة ولأحل لكم بعض الذى حرم عليكم » (١) ٠

فقد بين **عيسى** عليه السلام أنه فيما يتعلق بأمور العقيدة مصدق لما جاء فى التوراة ومؤكد له ومجدد للدعوة اليه اما بالنسبة للتشريع وأحكام الحلال والحرام وقد كلفه الله ببعض التغيرات وايجاد بعض التسهيلات فنسخ الله ما كانوا قد يعانونه من الشدة فى الاحكام والتشريع وهكذا فان شريعة كل رسول ناسخة للشريعة السابقة الا ما ايده التشريع الاخير أو سكت عنه وذلك على مذهب من يقول :

شريعة من قبلنا شريعة لنا اذا لم يرد ما يخالفها ٠

يتضح مما سبق أنه لا توجد اديان سماوية متعددة وانما توجد شرائع سماوية متعددة نسخ اللاحق منها السابق الى ان استقرت الشريعة السماوية الاخيرة التى قضت حكمة الله ان يكون مبلغها للعالمين هو خاتم الأنبياء والرسل أجمعين **محمد** عليه الصلاة والسلام ٠

**٣ ـ استقبال الوفود لتعليمهم فرائض الاسلام :**

قال تعالى : « فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون » (٢) ٠

عرفت سنة تسع هجرية بعام الوفود لان عددا كبيرا من القبائل العربية

---

(١) سورة آل عمران : آية ٥٠ ٠
(٢) سورة التوبة : آية ١٢٢ ٠

وأهالى المدن أخذت تفد من قبلها فى هذه السنة طائفة من كل فرقة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلن خضوعها وحرصها على الدخول فى الاسلام ٠

وكان الرسول يكرم وفادة رسل القبائل العربية ويعلمهم شرائع الاسلام ويجيزهم ببعض الجوائز عند انصرافهم من المدينة عائدين الى بلادهم ، وكان يلبس أحسن ثيابه عند مقابلة الوفود ويأمر أصحابه بالاقتداء به ٠

وكان أعضاء الوفود العربية الذين يأتون الى المدينة ليحظوا بالتعليم على يد الرسول يمثلون قبائلهم فى أغلب الاحيان فى التعبير عن رغبتهم الصادقة فى اعتناق الاسلام والدخول فى طاعة الرسول ، فاذا ما عادوا الى مواطنهم نشروا العلم والدعوة الاسلامية بين أهاليهم وقاموا بتعليمهم فرائض الاسلام وأحكامه ، وكان بعض هذه الوفود يعودون حاملين كتبا من الرسول مبينة بها ما يفرضه عليهم الاسلام من واجبات ٠

وهكذا أقبل وفود الناس على الرسول من كل وجه ودخلوا فى دين الله افواجا وقد اسلمت كل الوفود الآتية من حول أرض الحجاز واليمن بين يدى رسول الله وتعلموا شرائع الاسلام ٠ ومن هؤلاء الوفود وفد بنى فزارة ، ووفد بنى مرة ، ووفد بنى تميم ، ووفد بنى أسد ابن خزيمة الذين قالوا للرسول حين قابلوه : « اتيناك فى ظلمة الليل فى سنة جدباء ولم تبعث الينا بعثا» فنزلت فيه الآية الكريمة فى قوله تعالى :

« يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا على اسلامكم ، بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان ان كنتم صادقين » (١) ٠

وقد ساعدت انتشار الثقافة الاسلامية والدين الاسلامى بين العرب على اظهار الوحدة العربية فى العام التاسع للهجرة على ان الامة العربية لم تدخل بأسرها فى الاسلام بل ظل هناك فريق يحرص على الاحتفاظ بتقاليد ابائه فى الدين والعقيدة ، وهذا الفريق كان أقلية لا يؤبه لها كثيرا ولم يلبث ان سارع فى الدخول فى دين الله اثناء موسم الحج فى السنة التاسعة هجرية

---

(١) سورة الحجرات آية ١٧ ٠

حيث اراد الرسول ان يستغل الرحلة الى الحـج فى ذلك العام لتكون رحلة علمية لهذا الفريق فبعث أبو بكر أميرا على موسم الحج ليعلم الناس أصول مناسك الحج وكيفية ادائها حيث كان المشركون يحجون مع المســـــلمون ويعلون أصواتهم ليغلطوهم فيقولون « لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك » وكان رجال منهم يطوفون عراة ليس على رجل منهم ثوب يرون فى ذلك تعظيما للبيت الحرام وكان يقول أحدهم « أطوف بالبيت كما ولدتنى أمى ليس على شىء من الدنيا خالطه الظلم » ٠

وروى محمد بن كعب القرظى أن النبى صلى الله عليه وسلم بعث مـع ابى بكر على بن ابى طالب لابلاغ المشركين ببعض آيات التوبة وقال له أخرج بهذه القصة من صدر براءة ( أى سورة التوبة ) وإذن فى الناس يوم النحر اذا اجتمعوا بمنى : أنه لا يدخل الجنة كافر ولا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ٠ وبهذا الانذار انتهت الارجاس مع نهاية العام التاســـع للهجرة وتعلم المسلمون أصول الحج ومناسكه تنفيذا لقـــول الله تعالى فى سورة التوبة :

« يا أيها الذين آمنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحـرام بعد عامهم هــذا وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء ان الله عليم حكيم » (١) ٠

---

(١) سورة التوبة آية ٢٨ ٠

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ
يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ
وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ
وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾

[سورة الجمعة آية ٢]